

سورة الضحى

فرائد وفوائد

إعداد

الدكتور عبد الله بن هاشم الحسيني الشريف

- مشرف تربوي بإدارة التوعية الإسلامية بإدارة التربية والتعليم بمكة المكرمة
- حصل على درجة الماجستير من كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بمكة المكرمة بأطروحته (الخشية في القرآن الكريم)
- حصل على درجة الدكتوراه من كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بأطروحته (البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي من بداية كلامه على الآية (٥١) من سورة الحجر إلى نهاية كلامه على الآية (٨٧) من سورة الإسراء ، دراسة وتحقيقاً)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي أعلى شأن رسوله وفضّله ، وحسّن خلقه وجملّه ،
والصلاة والسلام على النبي الأكرم ، والرسول الأعظم ، وعلى آله
وأصحابه ومن بهديه اهتدى ، وبسيرته اقتدى ، أما بعد :

فلا يخفى على كل مسلم تلك الهجمات الشرسة - بين الحين
والآخر - على مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سواء على ذاته
الشريفة أو على سيرته أو على شريعته ، وذلك للنيل منه وإسقاط دينه
أو تنقصه ، وأنى لهم ذلك ؟ والله تعالى قد تكفل بحفظ دينه وبقائه
وظهوره ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ

كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [الصف: ١٩]

وتكفل بكفاية رسوله صلى الله عليه وسلم كل من عاداه وأذاه ﴿ إِنَّا

كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ [الحجر: ٩٥] ، ورفع ذكره في حياته وبعد
مماته ، وقدمه على جميع الخلق من لدن آدم عليه السلام إلى آخر من
يولد من ذريته .

ومهما حاول أعداء الإسلام من خارج دانرته من الكفرة بشتى
عقائدهم أو من داخل دانرته من أهل الزيغ والإلحاد والزندقة ممن هم
من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ، أقول : مهما حاول هؤلاء وهؤلاء
وأرجفوا بخيلهم ورجلهم ليصلوا إلى مقصدهم الآثم فإن أمرهم يؤول
إلى بوار ، وكيدهم إلى خسار ، ويكون خلاف ما قصدوا فيزداد الناس -
مؤمنهم وكافرهم - معرفة بهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ،

وتتجلى أخلاقه وفضائله ، ومحاسنه وشمائله ، وعظيم قدره وعلو مكانته ، والله در القائل :

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ * طَوَيْتُ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسْوِدٍ
لَوْلَا اشْتَعَالَ النَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ * مَا كَانَ يُعْرَفُ طَيْبُ عَرْفِ الْعُودِ
(١) .

وحسبنا في بيان هذه المكانة المحمدية ، والشمائل المصطفوية كتاب ربنا جل وعلا الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

ومن هنا كانت الرغبة مني في بحث نقف فيه مع سورة قصيرة وهي سورة (الضحى)

نتفياً ظلالتها ، ونلتقط دررها ، لنبرز من خلالها مكانته وعلو قدره وعظيم شأنه عند ربه جل وعلا .

(١) البيتان لأبي تمام ينظر :المثل السائر لأبي الفتح الموصلي ١ / ٣١٣

خطة البحث

انتظمت خطة البحث في مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة

المقدمة : وفيها إشارة إلى أهمية الموضوع وسبب اختياره

المبحث الأول / بين يدي السورة ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : موضوعها

المطلب الثاني : سبب نزولها

المطلب الثالث : مناسبتها لما قبلها

المبحث الثاني / القسم في مطلع السورة وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : المقسم به

المطلب الثاني : المقسم عليه

المطلب الثالث : علاقة المقسم به بالمقسم عليه

المبحث الثالث / المنن الربانية على النبي صلى الله عليه وسلم في

السورة وفيه ثلاثة مطالب : المطلب الأول / إيواؤه حال يتمه

المطلب الثاني / هدايته من الضلال

المطلب الثالث / إغناؤه بعد عيلته

المبحث الرابع : الوصايا الإلهية للنبي صلى الله عليه وسلم في

السورة وفيه ثلاثة مطالب : المطلب الأول / عدم قهر اليتيم

المطلب الثاني / عدم نهر السائل

المطلب الثالث / التحدث بنعمة الله تعالى

المبحث الخامس : سورة الضحى والتكبير وما يتعلق به ، وفيه

أربعة مطالب :

المطلب الأول : مناسبة التكبير لسورة الضحى

المطلب الثاني : التكبير عند القراء والفقهاء

المطلب الثالث : صيغة التكبير ولفظه

المطلب الرابع : ابتداء التكبير وانتهائه

الخاتمة

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

وأسأل الله جل وعلا التوفيق والسداد

المبحث الأول

بين يدي السورة

ويتمثل في المطالب التالية :

المطلب الأول : موضوعها

المطلب الثاني : سبب نزولها

المطلب الثالث : مناسبتها لما قبلها

المطلب الأول / موضوعها

سورة الضحى من السور المكية بلا خلاف ^(١) ، ويدل على
مكيته قصر آياتها ،
وما تحدثت عنه من إثبات البعث ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم ،
شأن السورة المكية

وموضوعها الذي تدور حوله السورة من أولها إلى آخرها هو الحديث
عن شخصية النبي صلى الله عليه وسلم ، وما أكرمه الله تعالى به من
العناية واللطف والنوال الجم في الدنيا والآخرة ، مع توصيته بوصايا
لها ارتباط وثيق بتلك العطايا والنوال الربانية .

(١) ينظر : المحرر الوجيز ٤٩٣/٥ ، روح المعاني ١٥٣/٣٠

المطلب الثاني / سبب نزولها

اختلفوا في سبب نزولها على ثلاثة أقوال :

القول الأول : عن جندب بن سفيان قال : (اشْتَكَى رَسُولُ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَفْعَمْ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ يَا مُحَمَّدُ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ شَيْطَانُكَ قَدْ تَرَكَكَ لَمْ أَرَهُ قَرِيبَكَ مُنْذُ لَيْلَتَيْنِ أَوْ

ثَلَاثَةٍ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : وَالضُّحَى ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (١)

وفي رواية أن جبريل أبطأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

المشركون ودع محمد فأنزل الله : مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٢) .

وقد ذكر أن المرأة أم جميل زوجة أبي لهب (٣) وهذا لا يستغرب من أم جميل التي جنّدت نفسها في إيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واجتهدت في مراقبته والترصد له ، لمعرفة أحواله ، ومن ثم تنتهز أي فرصة لإيذائه بأقوالها وأفعالها ، حتى أنزل الله تعالى فيها ﴿وَأَمْرَأَتُهُ

حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾ المسد: ٤ - ٥

(١) صحيح البخاري ، كتاب التفسير (٤٦٦٧) ، صحيح مسلم ، كتاب الجهاد

والسير (٤٧٥٨)

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير (٤٧٥٧)

(٣) ينظر :الكشف والبيان ٢٢٢/١٠ ، فتح الباري ٣ / ٩ ، واستند على أثر

أخرجه الحاكم فيه التصريح باسمها ، وقال في سنده : رجاله ثقات

ولكن الغريب ما ذكره الطبري (١) بسنده من وجهين (٢) عن عبد الله بن شداد أن خديجة رضي الله عنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم بعد إبطاء جبريل عنه : (ما أرى ربك إلا قد قلاك) ، وقد قال ابن كثير رحمه الله : (حديث مرسل من هذين الوجهين ، ولعل ذكر خديجة ليس محفوظاً ، أو قالته على وجه التأسف والحزن) (٣)

ولكن ابن حجر صحح إسنادهما إلى عبد الله بن شداد ، ولذا قال : الذي يظهر أن كلاً من أم جميل وخديجة قالت ذلك ، لكن أم جميل قالتته شماتة ، وخديجة قالتته توجعا (٤)

القول الثاني : ما ذكر من سؤال اليهود رسول الله صلى الله عليه

وسلم عن الروح وذوي القرنين وأصحاب الكهف فقال : سأخبركم غدا ، ولم يقل إن شاء الله ، فاحتبس عنه الوحي إلى أن نزل جبريل عليه السلام بقوله ﴿ وَلَا نَقُولَنَّ لِشَأَىٰ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴾ (٣٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴿ [الكهف: ٢٣ - ٢٤] فأخبره بما سئل عنه (٥) وفي هذه القصة

نزلت ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ (٦)

(١) ينظر : جامع البيان ٢٤ / ٤٨٦ ، ٤٨٧

(٢) قال السيوطي في الدر المنثور ٨ / ٢٥٩ : وكلاهما مرسل ، ورواتهما ثقات

(٣) ينظر : تفسير القرآن العظيم ٤ / ٥٣٧ .

(٤) ينظر : فتح الباري ٨ / ٧١١

(٥) أخرج القصة بطولها ابن إسحاق في سيرته ٢ / ١٣٩

(٦) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٩٢ ، وذكره بنحوه الواحدي في الوسيط

٤ / ٥٠٨ ، والبيغوي في معالم التنزيل ٤ / ٦٥

واختلف في مدة انقطاع الوحي (١) فقيل : اثنا عشر يوماً وهو قول ابن جريج ،

وقيل : خمسة عشر وهو قول ابن عباس ، وقيل : خمسة وعشرون وقيل : أربعون وهو قول مقاتل .

القول الثالث : ما ذكره الواحدي (٢)، والسيوطي (٣) عن خولة

أن جرواً دخل تحت سرير رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات ، فمكث نبي الله صلى الله عليه وسلم أياماً لا ينزل عليه الوحي فقال ياخولة ما حدث فيّ ؟ ما لجبريل لا يأتيني ، فقالت خولة: لو هيأتُ البيت وكنسُته ، فأهويت بالمكنسة تحت السرير فإذا شيء ثقيل فلم أزل حتى أخرجته، فإذا جرو ميت ، فأخذته فألقيته خلف الجدار، فجاء نبي الله صلى الله عليه وسلم ترعد لحياه، وكان إذا نزل عليه الوحي استقبلته الرعدة فقال: يا خولة دثريني، فأنزل الله تعالى : **وَالصُّحُفِ**

..... (٤)

ولكن هذه الرواية فيها ضعف نقدها ابن حجر بقوله (قصة إبطاء جبريل بسبب الجرو مشهورة ، لكن كونها سبب نزول الآية غريب ، بل شاذ مردود بما في الصحيح) (٥) .

(١) ينظر : الكشف والبيان ١٠/٢٢٢ ، الجامع لأحكام القرآن ٢٠/٩٢

(٢) في أسباب النزول ٣٣٨

(٣) في لباب النقول ٤٨٢

(٤) أخرج القصة الطبراني في المعجم الكبير ٢٤/٢٤٩

(٥) ينظر : فتح الباري ٨/٧١٠

وقال الهيثمي في سندها : (وأم حفص لم أعرفها) (١) ، وقال
السيوطي : (فيه من لا يعرف) (٢) .

ولا شك في رجحان القول الأول الذي جاء في الصحيحين .

وأما القول الثاني ففيه نظر ، ولا يمكن التسليم به لتعارضه مع
وقت نزول السورة ، فالسؤال عن قصة أهل الكهف وذوي القرنين
والسؤال عن الروح إنما كان في أواسط العهد المكي (٣)

واستبعد ابن حجر كونه سبب نزول الضحى فقال : (وذكر سورة
الضحى هنا
بعيد) (٤) .

والخلاصة أن جميع الروايات الصحيحة وغير الصحيحة متفقة على أن
الوحي انقطع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فترة ، وأنه تألم من
ذلك كثيرا فنزلت الآيات تواسيه وتزيل ما ألم به من الحزن والألم
النفسي .

(١) ينظر : مجمع الزائد ٢٩٢/٧

(٢) ينظر : لباب النقول ٢٥٩

(٣) ينظر التفسير الحديث لمحمد عزة دروزة ١/٥٥٠

(٤) ينظر : فتح الباري ٧١١/٨

وجاءت بعض الآثار في سبب نزول بعض آياتها ، فقد أخرج الطبراني في الأوسط عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (عرض علي ما هو مفتوح لأمتي بعدي فسرتني) فأنزل الله : ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ ﴾ (١)

وأخرج كذلك في الأوسط عن ابن عباس قال : عرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هو مفتوح أمته كفرا كفراً - أي قرية قرية - فسر به فأنزل الله ﴿ وَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَارْتَضِ ﴾ (٢)

والظاهر أن سبب نزول هاتين الآيتين واحد ، ونزولهما في وقت واحد ويمكن أن ذلك عُرض عليه صلى الله عليه وسلم بعد مقولة المشركين له : ودّع محمد ، ليكون ذلك عاجل بشري له صلى الله عليه وسلم ، ثم كان نزول السورة بعد ذلك ، والله أعلم.

(١) المعجم الأوسط (٥٧٢) ، وحسن إسناده الدكتور وهبة الزحيلي في تفسيره ٦٧١ / ١٥

(٢) المعجم الأوسط (٣٢٠٩)

المطلب الثالث : مناسبتها لما قبلها

مناسبة السورة لما قبلها وهي سورة (الليل) من وجهين :

الأول : لما ختمت سورة الليل بوعده كريم من الله تعالى بإرضاء

الأتقى في الآخرة بقوله ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ [الليل: ٢] أكد ذلك الوعد لنبيه ومصطفاه محمد صلى الله عليه وسلم وهو أولى الناس بالإرضاء له صلى الله عليه وسلم بقوله ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَارْتَضَى﴾

الثاني : لما ذكر الله تعالى في السورة السابقة ﴿وَسَيَجْزِيهَا الْآنَفَى﴾

﴿[الليل: ١٧]﴾ وسيد الأتقياء هو محمد صلى الله عليه وسلم ناسب أن يعقب ذلك بذكر نعمه عليه صلى الله عليه وسلم التي تضمنت تجنيبه النار وفوزه بأعلى الدرجات في الجنة وإعطاءه حتى يرضى^(١)

(١) ينظر : البحر المحيط ٨٤٨٠ ، تفسير المراغي ١٨٢/٣٠ ، التفسير المنير

للزحيلي ٦٦٥/١٥

المبحث الثاني

القسم في مطلع السورة ويتمثل في المطالب التالية :

المطلب الأول : المقسم به

المطلب الثاني : المقسم عليه

المطلب الثالث : علاقة المقسم به بالمقسم عليه

المطلب الأول / المقسم به

أقسم الله تعالى في هذه السورة الكريمة بأيتين من آياته الكونية فقال ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ وفي قسمه بهما دلالة على كثرة منافعهما ، وكونهما آيتين من آيات الله الدالة على قدرته ، لا سيما وأنهما متضادان ومتقابلان ، يخلف بعضهما بعضا كما قال سبحانه ﴿

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۢ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ

شُكُورًا﴾ الفرقان : ٦٢

والله تعالى يقسم بما شاء من مخلوقاته ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ

يُسْئَلُونَ﴾ [الأنبياء : ٢٣] وأما العباد فلا يجوز لهم القسم إلا به

جل وعلا بالإجماع(١) وقد قال صلى الله عليه وسلم : (أَلَا إِنَّ اللَّهَ عَزَّ
وَجَلَّ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا يَا بَائِكُمْ ، فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ
أَوْ لِيَصْمُتْ)^(٢) وقال (مَنْ حَلَفَ يَغْيِرَ اللَّهُ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ)^(٣)
وأما ما جاء من حلفه صلى الله عليه وسلم بقوله (أفلح وأبيه إن
صدق) (٤) فمحمول على أن هذا اللفظ كان يجري على ألسنتهم بغير
قصد القسم مثل قولهم : عقرى حلقى، أو أن ذلك كان قبل النهي (٥) .
والاحتمال الأول هو الأقرب والله أعلم

(١) حكاه ابن عبد البر في التمهيد ١٤ / ٣٦٦

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الأدب (٥٧٥٧) ، وصحيح مسلم ، كتاب الأيمان (٤٣٤٦)

(٣) سنن الترمذي في كتاب النذور والأيمان (١٥٣٥) وحسنه ، وقال الألباني
في صحيح وضعيف سنن الترمذي ٣٥/٤ : صحيح

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان (١١٠)

(٥) ينظر : فتح الباري ١٣/٣٨٢ ، ٣٨٣

ولأهل التفسير في قوله ﴿وَالضُّحَى﴾ وجهان : أحدهما أن المراد به وقت الضحى المعروف وهو صدر النهار حتى ترتفع الشمس وتلقي شعاعها وهو قول قتادة ومقاتل^(١) وإليه مال ابن كثير^(٢) والثاني : أنه النهار كله قاله الفراء^(٣) والزجاج^(٤)، وإليه مال الطبري^(٥) ، والثعلبي^(٦) ، والقرطبي^(٧) ، وأيد ذلك بمقابلته بالليل في الآية الأخرى ، ويقوله تعالى ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنَاتٍ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٧﴾ أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحَىٰ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿١٨﴾ الأعراف : ٩٧ - ٩٨ [أي نهاراً^(٨)]

قال الطبري : وأحسب أنه من قولهم (ضُحِي فلان للشمس إذا ظهرت ، ومنه قوله تعالى ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾ [طه : ١١٩] أي لا تصيبك فيها الشمس^(٩) وجاء عن بعض أهل العلم تفاسير أخرى مثل من فسره بالضحى الذي كلم الله فيه موسى عليه السلام ، أو فسره بالساعة التي خر فيها السحرة سجداً^(١٠)

(١) ينظر : جامع البيان ٤٨١/٢٤ ، الكشف والبيان ٢٢٣/١٠

(٢) ينظر : تفسير القرآن العظيم ٤٣٨/٤

(٣) ينظر : معاني القرآن له ٢٧٣/٣

(٤) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ٥ / ٢٥٨

(٥) ينظر : جامع البيان ٥١٣/٢٧

(٦) ينظر : الكشف والبيان ١٠ / ٢٢٣

(٧) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٣٣٥/٢٢

(٨) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٢ / ٣٣٥

(٩) ينظر : جامع البيان ٥١٣/٢٧

(١٠) ينظر : الكشف والبيان ٢٢٣/١٠ ، الجامع لأحكام القرآن ٩٢/٢٠

وهذه تفاسير فيها بعد وخرابة ، فاللام للجنس وليست للعهد ، ولا يوجد نص شرعي يخصصه بضحي بعينه ، فيبقى على عموم الضحي ، وتفسيره بالوجه الثاني أولى ، لتأييده بما ذكر أنفا . والله أعلم
وجاء في معنى (سجي) ثلاثة أوجه متقاربة لا تخرج أقوال المفسرين عن هذه الوجوه :

الوجه الأول : (سجي) أي سكن ، قاله أبو عبيدة (١) والزجاج (٢) ومجاهد (٣) وقتادة (٤) وغيرهم ، يقال ليلة ساجية ، أي ساكنة ، وبحر ساج أي ساكن .

ولسكون الليل معنيان ^(٥) : أحدهما سكون الناس فنسب إليه كما يقال : ليل نائم ونهار صائم ، وعل هذا يكون من قبيل المجاز

والثاني : هو أن سكونه عبارة عن استقرار ظلامه واستوائه فلا يزداد بعد ذلك .

(١) ينظر : مجاز القرآن ٢٩٢

(٢) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ٥ / ٢٥٨

(٣) ينظر : جامع البيان ٤٨٢/٢٤

(٤) ينظر : جامع البيان ٤٨٣/٢٤

(٥) ينظر : التفسير الكبير ١٨٨/١٩

الوجه الثاني : سجي : أي أظلم ، قاله الفراء (١) .

الوجه الثالث سجي : أي غطي ، قاله الأصمعي (٢) وابن الأعرابي (٣) ، أي غطي النهار .

ولا منافاة بين الأوجه الثلاثة ، فالليل إذا أظلم غطي النهار وغشاه بالظلام ، فحصل سكون الناس فيه .

(١) ينظر : معاني القرآن له ٢٧٣/٣

(٢) ينظر : تهذيب اللغة (سجو)

(٣) ينظر : مفاتيح الغيب ١٩ / ١٨٨

المطلب الثاني / المقسم عليه

أقسم الله تعالى بالضحى وبالليل إذا سجي على أربعة أمور : اثنين منفيين ، واثنين مُثبتين ، وابتدأ بالمنفيين من باب : التخلية قبل التولية - كما قيل -

فالمقسم عليه أو جواب القسم الأول المنفي هو قوله تعالى :

﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ ﴾ من التوديع وهو تحية من يريد السفر ، وهو

مبالغة في الودع لأن من ودَّعك مفارقاً فقد بالغ في تركك (١)

واستعير في الآية للمفارقة بعد الاتصال تشبيهاً بفراق المسافر في انقطاع الصلاة ، حيث شبه انقطاع صلاة الكلام بانقطاع صلاة الإقامة ، والقرينة إسناد ذلك إلى الله الذي

لا يتصل بالناس اتصالاً معهوداً (٢)

والمعنى : ما قطعك قطع المودَّع (٣) ولا تركك بعد أن أحبك ، ولما كان التوديع لا يكون إلا للمحبوب جاء التعبير بـ (ما ودَّعك) بدل (ما تركك)

وإيراد اسم الرب المضاف إلى ضميره صلى الله عليه وسلم في قوله : (ربك) ينبئ عن التربية ومزيد العناية واللطف به صلى الله عليه وسلم ، وفي الخطاب له من التشريف والتكريم ما فيه .

(١) ينظر : البحر المحيط ٨/٨١ ، التحرير والتنوير ٣٠/٣٩٥

(٢) ينظر : التحرير والتنوير ٣٠/٣٦٥

(٣) ينظر : الكشاف ٤/٧٥٤ ، إرشاد العقل السليم ٦/٣٩٤

والمقسم عليه المنفي الثاني ﴿وَمَا قَلَى﴾

القلى : البغض الشديد (١) ، والمعنى : وما قلاك أي : وما أبغضك بعد أن أحبك ، وقيل في حذف كاف الخطاب وجوه (٢) منها : ثبوتها في قوله ﴿مَا وَدَّعَكَ﴾ فدللت عليها ، ومنها مراعاة للفواصل .

وقال الشيخ عطية محمد سالم : الذي يظهر من لطيف الخطاب ورقيق الإيناس أن الموادة تشعر بالوفاء والود ، فأبرزت فيها كاف الخطاب أي : لم تتأت موادعتك وأنت الحبيب المقرب ، أما ﴿قَلَى﴾ ففيها معنى البغض ، فلم يناسب إبرازها إمعانا في إبعاد قصده صلى الله عليه وسلم بشيء من هذا المعنى كما تقول لعزير عليك (لقد أكرمتك وما أهنت) (٣) .

ولكن يعكر على هذا أنه بعد ذلك حذف كاف الخطاب في قوله ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ وما بعدها ، مع إشعارها باللفظ ومزيد العناية ، ويبقى القول بالحذف مراعاة للفواصل هو الأقرب والله أعلم .

وبنفي الله تعالى للتوديع و القلى عن رسوله وحببيه محمد صلى الله عليه وسلم تدحض الشبهة التي أطلقها المشركون بأن رب محمد ودَّعه وقلاه ، ويطيب خاطره وتزول الوحشة من قلبه صلى الله عليه وسلم ، ولا يقف الفضل الإلهي عند هذا الحد ، بل يتسبب هؤلاء الأعداء في فيض إلهي بمكرمتين جليلتين ، وبشارتين عظيمتين ، ويكون وراء هذه المحنة تلك المنحة ، فكم من خير تسبب الأعداء في

(١) ينظر : المفردات (قلى)

(٢) ينظر : تنمة أضواء البيان بتصرف ٦/٦٤

(٣) ينظر : تنمة أضواء البيان ٦/٦٤ .

إيصاله لمن عادوه من حيث إنهم يريدون إيذائه والإضرار به ، ولو علموا بذلك لما فعلوه ، وهذا الخير والعطاء الذي حصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتجلى بسببهم ، يعتبر في حد ذاته انتصاراً على أعدائه وإغاظة لهم .

ومن هذا القبيل ما حصل من الإيذاء والطعن والتنقص لرسولنا وحبينا صلى الله عليه وسلم من أعداء الملة والدين من الكفرة الفجرة أو الزنادقة المرذقة ، فانقلب عليهم ظهر المجن ، وتسبب ذلك في الإشادة به والثناء عليه من المحبين الصادقين في المحاضرات والدروس والندوات والخطب والأشعار ، وألفت الكتب ، وأنشئت المواقع الخاصة (١) للدفاع عنه ، ونشر سنته ، وبيان أخلاقه وشمائله ، وتعريف الناس به ، حتى اشتهر أكثر عند أعدائه فأخذوا يتساءلون عنه ، ذلك كله وغيره من رفع ذكره الذي تعهد الله تعالى به في قوله ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ الشرح: ٤ ، ومن تولى الله له في حياته وبعد

مماته ﴿ إِنَّ إِلَهِي اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ الأعراف: ١٩٦ أعود وأقول : بعد أن أقسم الله تعالى على نفي التوديع والقلبي لنبيه ومصطفاه صلى الله عليه وسلم ، أثبت له في مقابلهما بشارتين وأقسم عليهما ، فالبشارة الأولى المقسم عليهما: ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ اللام في قوله ﴿ وَالْآخِرَةُ ﴾ للابتداء ، لتأكيد مضمون الجملة

(١) مثل موقع نصررة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وموقع اللجنة العالمية لنصرة خاتم الأنبياء والمرسلين

فالدّار الآخرة وما يعطى فيها من النعيم المقيم ، والدرجة الرفيعة في الجنة ، خير له صلى الله عليه وسلم من الدنيا من جميع الوجوه ، فخيرات الدنيا قليلة مشوبة بالأكدار لا محالة ، وأما لذات الآخرة وخيراتها فكثيرة خالصة دائمة .

ومثل هذه البشارة الأخروية يفسر لنا السر في كونه صلى الله عليه وسلم أزهّد الناس في الدنيا كما هو معلوم من سيرته العطرة ، فما أثر عنه في إعراضه عن الدنيا وزهده فيها أنه اضطجع على حصير فأثر في جنبه فقيل له : (ألا أدنتنا حتى نبسط لك على حصير شينا ؟ فقال : مالي وللدنيا ، ما أنا والدنيا إلا كراكب استظلّ تحت شجرة ، ثم راح وتركها) (١) .

ولما خير صلى الله عليه وسلم في آخر عمره بين الخلد في الدنيا ثم الجنة وبين الصيرورة إلى الله عز وجل ولقائه اختار لقاء ربه (٢) .

ومن لطيف ما ذكر عن بعض أهل التفسير : أن المراد بالآخرة عاقبة أمره عليه الصلاة والسلام أي : لنهاية أمرك خير من بدايته ، لا تزال تتزايد قوة وتتصاعد رفعة (٣)

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن عبدالله بن مسعود (٣٧٠٩) وصححه شعيب الأرنؤوط، والترمذي في كتاب الزهد (٢٣٧٧) وقال حسن صحيح ، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي ٣٧٧/٥

(٢) ينظر الأثر بتمامه في المستدرک (٤٣٨٣) وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي

(٣) ينظر : إرشاد العقل السليم ٤٤٠/٦

وهذا القول إن كان في معناه مقصوراً على تزايد رفعته في الدنيا فقط ، وأن ما كان من نهاية أمره فيها خير من بدايته ، ففيه نظر ، لأن الظاهر المتبادر أن المقصود بالآخرة هو ما بعد موته صلى الله عليه وسلم ، وأنها خير له من الأولى وهي الدنيا وهذا ما عليه جمهور المفسرين .

ومن المفسرين من حمل الخيرية في الآية على ما يكون له من رقي وارتفاع في كل حال على ما قبلها من أحوال في الدنيا ، ثم تكون الآخرة خيراً له مما قبلها من الدنيا (١) ومال إلى هذا ابن القيم رحمه الله تعالى (٢) .

ولا يمتنع شمول الآية لهما ، وقد تقرر في قواعد التفسير (أن اللفظ إذا احتل معاني عدة ، ولم يمتنع إرادة الجميع ، حمل عليها) (٣) وهي قاعدة نفيسة تجمع أقوال أهل التفسير في المعاني التي يحتملها اللفظ أو التركيب القرآني عند عدم التضاد ، وينزاح بها كثير من الإشكالات عند طلبه العلم حال اختلاف ألفاظ المفسرين في معنى الآية ، ويتجلى بها شيء من إعجاز البيان .

وقد لفت الزمخشري (٤) إلى وجه اتصال هذه الآية بقوله ﴿ مَا وَدَّعَكَ

﴿ وَمَا قَلَى ﴾ فقال : لما كان في ضمن نفي التوديع و القلى ، أن الله

(١) ينظر : المحرر الوجيز ٤٩٣/٥

(٢) ينظر : التبيان في أقسام القرآن في أقسام القرآن ٨٤

(٣) ينظر لتقرير هذه القاعدة : جامع البيان ١/٢٢٤ ، ٢٢٥ ، مجموع الفتاوى

١٥/١١ ، ١٢ ، التحرير والتنوير ١/٩١ — ٩٨ ، أضواء البيان ١/٣٩ ،

وللاستزادة عن القاعدة وما يتعلق بها ينظر : قواعد التفسير ٢ / ٨٠٧ —

(٤) ينظر : الكشاف ٤ / ٧٥٤

مواصلتك بالوحي إليك ، وأنتك حبيب الله ، ولا ترى كرامة أعظم من ذلك ، ولا نعمة أجل منه ، أخبره أن حاله في الآخرة أعظم من ذلك وأجل ، وهو السبق والتقدم على جميع الأنبياء وشهادة أمته على سائر الأمم إلى آخر كلامه النفيس رحمه الله .

وأما البشارة الثانية المقسم عليها فهي ﴿ وَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَرَضَىٰ ﴾

ووجه اتصالها بما قبلها أن الله تعالى لما بين له أن آخرته خير له من دنياه ، ولكن لم يبين إلى أي حد يكون التفاوت بينهما ، فبين بقوله تعالى ﴿ وَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَرَضَىٰ ﴾ مقدار ذلك التفاوت ، وهو أنه ينتهي إلى غاية ما يتمناه ويرتضيه (١) .

ونلاحظ في الآية الكريمة إعادة اسم الرب مع إضافته لضميره صلى الله عليه وسلم ومخاطبته بقوله (ربك) كما كان قبل ذلك في قوله تعالى ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ ﴾ تأكيدا للاعتناء به ، وزيادة في التشريف له ، وتناسبا مع العطاء الكريم الموعود به حتى يرضى

واختلف المفسرون في اللام الداخلة على (سوف) فالأكثر (٢) على أنها لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة ، والمبتدأ محذوف تقديره : ولأنت سوف يعطيك ، وليست للقسم ، لأنها لا تدخل على المضارع إلا مع النون المؤكدة .

(١) ينظر : مفاتيح الغيب ٣١ / ١٩٢

(٢) ينظر : الكشاف ٧٥٥/٤ ، البحر المحيط ٤٨١/٨ ، مفاتيح الغيب ٣١/١٩٤

، إرشاد العقل السليم ٤٤٠/٦ ، التحرير والتنوير ٣٥٢/٣٠

وقيل بأنها للقسم (١) وأنها - عند النحاة - من الصور المستثناة من التلازم بينها وبين نون التأكيد ، للفصل بينها وبين الفعل بحرف التنفيس .

وإن قيل ما معنى الجمع بين حرفي التوكيد والتأخير ؟

الجواب : معناه أن العطاء كائن لا محالة وإن تأخر ، لما في التأخير من المصلحة (٢) .

وذكر المفسرون صوراً لتلك العطايا والمكرمات التي بها يرضى ، فعن ابن عباس أنها ألف قصر في الجنة من لؤلؤ ، ترابهن المسك ، في كل قصر ما ينبغي من الأزواج والخدم (٣)

وعن علي والحسن : أنها الشفاعة (٤) ، وقيل : الحوض والشفاعة (٥) ومن المفسرين من جعل هذا العطاء في الدنيا فيعطى من النصر والظفر والتمكين كفتح مكة وغيره حتى يرضى (٦) وهذا فيه بعد ، لاتصال هذه الآية بما قبلها كما أسلفنا ، وتام الكرامة والرضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون إلا في الآخرة .

(١) قاله ابن الحاجب في الأمالي النحوية ١/١٤٨ ، والمالقي في رصف المباني ٣٠٧ ، وابن هشام في مغني اللبيب ٣/٢٥٠ ، وأيده الدكتور الزحيلي في التفسير المنير ١٥ / ٦٦٧ ، وأنكر دخول لام الابتداء على (سوف)

(٢) ينظر : الكشاف ٤/٧٥٦

(٣) ينظر : جامع البيان ٢٤/٤٨٨ ، تفسير ابن أبي حاتم ١٠/٣٤٤٣

(٤) ينظر : تفسير ابن أبي حاتم ١٠/٣٤٤٣ ، زاد المسير ٨/٢٨١

(٥) ينظر الجامع لأحكام القرآن ٢٢/٣٤١

(٦) ينظر : النكت والعيون ٦/٢٩٣ ، معالم التنزيل ٤/٤٦٦ ، المحرر الوجيز

٥/٤٩٤

ولكن من العلماء (١) من جعل ذلك عاما في الدنيا والآخرة ، فيعطي في الدنيا من النصر والتمكين وكثرة الأتباع ورفع ذكره وانتشار دعوته ما يرضيه ، وفي الآخرة من الكرامات المتعددة ما يرضيه ، وهذا القول له وجاهته ، لتعميم العطاء في الآية ، وعدم تقييده بالآخرة تصريحاً ، وهو أكمل لمقام نبيه ومصطفاه صلى الله عليه وسلم ، وقد أسلفنا قاعدة (أن اللفظ إذا احتمل معاني عدة ، ولم يمتنع إرادة الجميع ، حمل عليها) وهناك قول فيه غرابة نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية وهو أن رضا محمد صلى الله عليه وسلم أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار(٢) .

وقد نقل هذا القول جمع من المفسرين وسكتوا عنه(٣) .

وأذكر في هذا المقام أن أحد أصدقائي من أئمة المساجد من أهل البيت ، كان في مجلس فيه عوام من أهل البيت ، ولما أذن المؤذن لصلاة العصر نصح الجالسين بالذهاب إلى المسجد ، فبادره بعضهم قائلاً : نحن أهل البيت في الجنة ، صلينا أم لم نُصل ، وما ذهبنا إلى المسجد وصلاتنا إلا لتحصيل حاصل ، فتعجب وسألهم من قال ذلك لكم ؟ فقالوا : الشيخ فلان . يقول صديقي عنه بأنه ليس معروفاً بالعلم

(١) كابن إسحاق في السيرة ٢ / ٨٠ ، والزمخشري في الكشاف ٤ / ٧٥٥ ، والـرازي في مفاتيح الغيب ٣١ / ١٩٣ ، وأبي حيان في البحر المحيط ٨ / ٤٨١ ، وابن القيم في التبيين في أقسام القرآن ٨٥ ، والشوكاني في فتح القدير ٥ / ٥٧٣ وغيرهم .

(٢) ينظر : جامع البيان ٢٤ / ٤٨٨ ، تفسير القرآن العظيم ٤ / ٥٣٨

(٣) كابن عطية في المحرر الوجيز ٥ / ٤٩٤ ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٢٢ / ٣٤١ ، وابن كثير في تفسيره ٥ / ٤٣٨ ، والألووسي في روح المعاني ١٥ / ٣٨٠

قلت : لعل هذا الشيخ المزعوم قرأ مثل هذا الأثر فوضعه في غير موضعه ، وحدث به عوام الناس ، فأحدث عندهم مثل هذه التصورات الخاطئة التي جعلتهم يفترون مثل هذا الاعتراض . ففي الصحيح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مَنْ بَطَّأ بِهِ

عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ) (١)

وفي الصحيح أيضا عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(يَا بَنِي هَاشِمٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا فَاطِمَةُ أَنْقِذِي نَفْسَكَ مِنَ النَّارِ ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا) (٢) .

بل نقل بعضهم عن جعفر الصادق ما هو أعجب وأوسع من ذلك وهو قوله : رضاء جدي أن لا يدخل النار موحد (٣) .

وهذا يناهض ما جاء من الأحاديث الصحيحة في دخول بعض عصاة الأمة من الموحدين في النار (٤) .

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة (٧٠٢٨)

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب الإيمان (٥٢٢)

(٣) ينظر : التفسير الكبير ١٩٣/٣١

(٤) مثل ما جاء في البخاري في حديث الصراط في كتاب الرقاق (٦٢٠٤) ،

وفي صحيح مسلم في كتاب الإيمان (٤٧٥)

وجعل ابن القيم ذلك من الاغترار وأدحضه بقوله (وأما ما يغتر به بعض الجهال من أنه لا يرضى وواحد من أمته في النار ، أو لا يرضى أن يدخل أحد من أمته النار ، فهذا من غرور الشيطان لهم ولعبه بهم ، فإنه صلوات الله وسلامه عليه يرضى بما يرضى به ربه تبارك وتعالى ، وهو سبحانه يدخل النار من يستحقها من الكفار والعصاة ثم يحد لرسوله حدا يشفع فيهم ، ورسوله أعرف به وبحقه من أن يقول : لا أرضى أن يدخل أحد من أمتي النار.....) (١) .

ونقل القسطلاني قوله مؤيداً له (٢) .

وإن تأولنا قولهم على عدم الخلود في النار فهو صحيح ولا شك ، لثبوت خروج جميع الموحدين من النار ودخولهم الجنة خالدين فيها (٣) ، ويتحقق له بذلك موعود ربه جل وعلا بأن يرضيه في أمته ولا يسوءه ، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله

عليه وسلم تلا قولَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ ﴿ رَبِّ إِنِّي أَخْلَلْتُ كَيْبَرًا

مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ إبراهيم :

٣٦ وَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ إِن تَعَدَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ

فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ المائة: ١١٨ فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ « اللَّهُمَّ أُمَّتِي

أُمَّتِي ». وَبَكَى ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : يَا جِبْرِيْلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ وَرَبِّكَ أَعْلَمُ فَسَلِّهُ مَا يُبْكِيكَ ؟ فَأَتَاهُ جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا قَالَ. وَهُوَ أَعْلَمُ. فَقَالَ اللَّهُ يَا جِبْرِيْلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ (٤) .

(١) ينظر : التبيان في أقسام القرآن ٨٥

(٢) ينظر : المواهب اللدنية ٤٣٩/٢

(٣) كما في صحيح البخاري ، كتاب التوحيد (٧٥١٠) ، وصحيح مسلم ، كتاب

الإيمان (٥٠٠)

(٤) أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان (٥٢٠)

المطلب الثالث / علاقة المقسم به بالمقسم عليه

ارتباط المقسم به بالمقسم عليه من أطف ما يتضمنه القسم القرآني ، إذ تلحظ تلك المطابقة بينهما - بعد التأمل والنظر - بما يبهر الألباب ، ومن ذلك ما جاء من التطابق والتناسب بينهما في هذه السورة .

ومما قيل في وجه الارتباط بينهما ما ذكره ابن القيم ^(١) من مطابقة هذا القسم ، وهو نور الضحى الذي يوافي بعد ظلام الليل ، للمقسم عليه وهو نور الوحي الذي وافاه بعد احتباسه عنه حتى قال أعداؤه : ودع محمدا ربه ، فأقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل على ضوء الوحي ونوره بعد ظلمة احتباسه واحتجابه ، ومن ذلك أيضا أن فالح ظلمة الليل عن ضوء النهار هو الذي فلق ظلمة الجهل والشرك بنور الوحي والنبوة ، فهذان للحس وهذان للعقل ، ومن ذلك أن الذي اقتضت رحمته أن لا يترك عباده في ظلمة الليل سرمدا بل هداهم بضوء النهار إلى مصالحهم ومعاشهم ، لا يليق به أن يتركهم في ظلمة الجهل والغي بل يهديهم بنور الوحي والنبوة إلى مصالح دنياهم وآخرتهم .

قلت : والوجه الأول هو أظهرها وأوجهها ، والله أعلم

وأشار الرازي ^(٢) إلى بعض وجوه الارتباط ، وأوجهها أن الله كانه يقول : الزمان ساعة ، فساعة ، ساعة ليل وساعة نهار ، ثم يزداد ، فمرة تزداد ساعات الليل وتنقص ساعات النهار ، ومرة بالعكس فلا تكون الزيادة لهوى ولا النقصان لقلبي ، بل للحكمة ، كذا الرسالة وإنزال الوحي بحسب المصالح ، فمرة إنزال ومرة حبس ، فلا كان الإنزال عن هوى ، ولا كان الحبس عن قلى .

(١) ينظر : التبيان في أقسام القرآن في أقسام القرآن ٨٤

(٢) ينظر : مفاتيح الغيب ١٨٩/٣١

المبحث الثالث

المنن الربانية على النبي صلى الله عليه وسلم في السورة

ويتمثل في المطالب التالية :

المطلب الأول / إيواؤه حال يتمه

المطلب الثاني / هدايته من الضلال

المطلب الثالث / إغناؤه بعد عيلته

لما بين الله تعالى ما وعد به نبيه صلى الله عليه وسلم من العطاء والفضل حتى يرضيه ، امتن عليه وذكّره بنعمه عليه وأياديه ، وأنه لم يخله منها من أول تربيته ونشأته ليقبس المترقب من فضل الله على ما سلف منه ، لنلا يتوقع إلا الحسنى وزيادة الخير والكرامة ولا يضيق صدره ولا يقل صبره (١) وكان الله تعالى يقول له : اعتنيت بك ولم أهملك منذ صغرك قبل نبوتك ، وكنت تحت عيني ، فكيف أهملك وأودعك وأدع العناية بك بعد نبوتك وزيادة قربك ، فقال سبحانه : ﴿

أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴿٨﴾

(١) ينظر : الكشاف ٧٥٦/٤

المطلب الأول / إيواؤه حال يتمه

هذه المنة الأولى وهي في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴾

الهمزة لإنكار النفي ، وتقرير المنفي على أبلغ وجه كأنه قيل : قد وجدك يتيماً فأوى (واليتم في الناس فقد الصبي أباه قبل البلوغ (١) .
(٢) ، والمعنى أنه وجدك يتيماً لا أب لك ، فجعل لك مأوى تأوي إليه(٣)، وذلك أن أباه مات وهو حمل في بطن أمه ، فتولاه جده ، وماتت أمه وهو ابن ست سنين ، ثم مات جده وهو ابن ثمان سنين ، ثم تولاه أبو طالب وأحاطه بعطفه ورحمته حتى بلغ الأربعين ، وناصره بعد نبوته وهو على غير دينه حتى مات (٤) .

وفي حكمة يتمه صلى الله عليه وسلم وموت أبويه قيل : لنلا يكون عليه حق لمخلوق (٥)

(١) ينظر : لسان العرب [يتم]

(٢) ينظر : روح المعاني ٣٨٠/٨٥

(٣) ينظر : فتح القدير ٥٧٣/٥

(٤) ينظر : تفسير القرآن العظيم ٥٣٨/٤ باختصار وتصرف

(٥) ينظر : المحرر الوجيز ٤٩٤/٥ ، الجامع لأحكام القرآن ٣٤٢/٢٢

وقيل : إنه راجع إلى قوله ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ أي ليتولى الله تعالى أمره من صغره ، فكان يتمه لإبراز فضله ، لأن يتيم الأمس أصبح سيد الغد، وكافل اليتامى (١) .

المطلب الثاني / هدايته بعد الضلال

هذه المنة الثانية وهي في قوله تعالى ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾

هذه الآية الكريمة فيها إشكال في نسبة الضلال إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الوحي اليه ، وأول ما يتبادر إلى الذهن أنه الضلال الذي يقابل الهدى وهو العدول عن الصراط المستقيم ، وليس الأمر كذلك وحمله على ذلك غير ممكن ، لأن الأنبياء معصومون من ذلك ، وما جاء في القرآن الكريم من نسبة الضلال إلى بعضهم كما في هذه الآية ، وكما في قوله تعالى عن موسى عليه السلام ﴿ قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذًا

وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ الشعراء: ٢٠ وكذا في قوله تعالى على لسان إخوة

يوسف : ﴿ إِنَّ أَبَانَا لَنَفَى ضَلَّالٍ مُّبِينٍ ﴾ يوسف: ٨ ، كل ذلك له تأويله

في موضعه بما لا يخل بعصمة الأنبياء من الضلال الذي يتضمن العدول عن الصراط المستقيم إلى الغي والزلل في التوحيد .

(١) ينظر : تنمة أضواء البيان ٢٨٣/٩

وقد أوقفنتي هذه الآية كثيراً , وتتبع أقوال المفسرين في معناها لأرتضي منها ما يشهد له الدليل وتدعمه الحجة , ويكون بعيداً عن التكلف , فوجدت أقوالهم وصلت إلى أكثر من عشرين قولاً (١) .

ووجدت في بعضها شيئاً من البعد والغرابة كقول بعضهم : ضالاً عن أمور الدنيا لا تعرف التجارة ونحوها , ثم هديتك حتى ربحت تجارتك (٢)

وقول بعضهم : وجدك ضالاً عن الهجرة متحيراً في يد قريش (٣)
والهجرة كما هو معروف في نهاية العهد المكي , ونزول هذه السورة كان في أوائله .

وللوصول إلى المقصود كان لابد أن أقف على معنى الضلال وإطلاقاته في القرآن الكريم ولغة العرب , فوجدت كلاماً نفيساً للشيخ محمد الأمين الشنقيطي في ثلاثة مواضع من كتابه (أضواء البيان) حقق فيه معنى الضلال , وأتى بما يكفي ويشفي ويغني عن كلام غيره من المفسرين الذين تكلموا عن الضلال في مواضع المتفرقة من القرآن الكريم .

وجملة ما ذكره رحمه الله أن الضلال يطلق في القرآن الكريم ولغة العرب ثلاثة إطلاقات :-

الأول : أنه بمعنى الذهاب عن طريق الحق إلى طريق الباطل , كالذهاب من الإيمان إلى الكفر , وهو المشهور في اللغة , ومنه قوله

تعالى: ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ الفاتحة : ٧

(١) تنظر الأقوال في الكشف والبيان ٢٢٢/١٠ - ٢٢٩ ، الجامع لأحكام القرآن

٣٤٢-٣٤٦ التفسير الكبير ١٩٦ ، ١٩٧

(٢) ينظر: التفسير الكبير ٣١ / ١٩٧

(٣) ينظر : المصدر السابق ٣١ / ١٩٦

وقوله : ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾ الصافات: ٧١ إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة بهذا المعنى .

الثاني : أنه بمعنى الهلاك والغيبة و الاضمحلال ، تقول العرب : ضل الشيء اذا غاب و اضمحل ، ومنه قولهم : ضل السمن في الطعام اذا استهلك فيه و غاب و اضمحل , ولذلك تسمى العرب الدفن إضلالاً ، لأن الميت المدفون تأكله الأرض فيغيب فيها و يضمحل , ويضل فيها كما يضل السمن في الطعام ، ومنه قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا آءِذَا ضَلَلْنَا فِي

الْأَرْضِ﴾ السجدة: ١٠ وقوله تعالى : ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ

﴿ هود: ٢١

والثالث : أنه بمعنى الذهاب عن علم حقيقة الشيء كما ينبغي , فتقول العرب في كل من ذهب عن علم حقيقة شيء : ضل عنه , وهذا الضلال ذهاب عن علم شيء ما , وليس من الضلال في الدين ، ومنه قوله تعالى : ﴿ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴾ طه: ٥٢ أي : لا يذهب عنه علم شيء كائناً ما كان , ومنه قوله تعالى

: ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا ﴾ البقرة: ٢٨٢ أي : تذهب عن حقيقة علم

المشهود به بنسيان, أو نحوه . ومنه قوله : ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي

ضَلَالِكَ الْكَبِيرِ ﴾ يوسف: ٩٥ أي : ذهابك عن العلم بحقيقة أمر

يوسف . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾ الضحى: ٧

أي : ذاهبا عما تعلمه الآن من العلوم والمعارف والشرائع التي لا تدرك إلا بالوحي , فهذاك إليها وعلمها بما أوحى إليك من هذا القرآن العظيم (١) .

وهذا هو الذي يشهد له القرآن الكريم , فقد ذكر الله تعالى حاله صلى الله عليه وسلم قبل النبوة , وما امتن عليه بعدها من إنزال القرآن عليه , وتعليمه ما لم يكن يعلمه قبلها فقال : ﴿ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا

الْإِيمَانُ ﴾ الشورى : ٥٢

ومعنى الإيمان في الآية تفاصيل شرائع الاسلام (٢) وخص الإيمان لأنه رأسها وأساسها (٣)

وقال تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا

الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ يوسف : ٣

أي : من الجاهلين به , ما كان لك فيه علم قط , ولا طرق سمعك طرف منه (٤)

(١) ينظر : أضواء البيان ٣٢/٢ ، ٤٣٦ ، ١٨٦/٤ ، ١٨٧

(٢) ينظر : التفسير الكبير ١٦٤/٢٧ ، تفسير القرآن العظيم ٤ / ١٢٢ , مدارك

التنزيل ٥١٧/٢ , فتح القدير ٤ / ١٢٢ .

(٣) ينظر : فتح القدير ٤ / ٦٨١

(٤) ينظر : الكشاف ٢ / ٤٢٤

وقال : ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ

تَعْلَمُ ۗ ﴾ النساء: ١١٣

وهذا القول في معنى الآية هو الذي ذهب اليه جمهور المفسرين (١) ، وهو مروى (٢) عن ابن عباس ، والحسن والضحاك وابن كيسان وشهر بن حوشب ، وهذا من تفسير القرآن بالقرآن .

وأغرب وأبعد ما فسر به الضلال في الآية أنه الكفر ، وأنه صلى الله عليه وسلم كان على دين قومه أربعين سنة (٣) .

وهذا مردود مرفوض ، لأنه لو كان على دين قومه لحظة لاحتج عليه قومه بذلك وخاصموه عندما دعاهم إلى التوحيد ، وقد أشرنا سابقا إلى عصمة الأنبياء جميعا من الكفر والشرك قبل النبوة ، بل إن الثابت أنه كان يعتزل الناس ، ويتعبد ربه الليالي ذوات العدد في غار حراء (٤) حتى أتاه وحي السماء .

(١) ينظر :معاني القرآن وإعرابه ٥ / ٢٥٩ ، جامع البيان ٢٤ / ٤٨٩ ، الكشف والبيان ١٠ / ٢٢٢ المحرر الوجيز ٥ / ٤٩٤ ، الجامع لأحكام القرآن ٢٢ / ٣٤٢ ، تفسير القرآن العظيم ٤ / ٥٣٨

(٢) ينظر : الكشف والبيان ١٠ / ٢٢٢ ، زاد المسير ٨ / ٢٨١ ، التفسير الكبير ٣١ / ١٩٦

(٣) قاله السدي والكلبي ، ينظر : جامع البيان ٢٤ / ٤٨٩ ، التفسير الكبير ٣١ / ١٩٥

(٤) ينظر : صحيح البخاري ، كتاب بدء الوحي (٣) من حديث عائشة رضي الله عنها

المطلب الثالث / إغناؤه بعد عيلته

هذه المنة الثالثة وهي في قوله تعالى ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾

العائل هو الفقير ، كان له عيال أو لم يكن ، يقال عال الرجل ، إذا افتقر ، وأعال : إذا كثر عياله (١) وقيل : بأنه ذو العيال(٢) والأشهر هو الأول (٣)

وذكر جماعة من المفسرين أن الله أغناه بمال خديجة رضي الله عنها . (٤)

والمعنى : وجدك فقيرا ذا عيال ، فأغناك بالمال .

وقيل : وجدك فقيرا فقتعك ورضاك بما آتاك ، وأغناك عما سواه.(٥)

(١) ينظر : النكت والعيون ٢٩٤/٦ ونسبه إلى الفراء ، زاد المسير ٢٨٢/٨ ونسبه إلى ابن قتيبة

(٢) ينظر : النكت والعيون ٢٩٤/٦ ونسبه إلى الأخفش

(٣) ينظر : جامع البيان ٤٨٩/٢٤ ، معالم التنزيل ٤٦٧/٤ ، الجامع لأحكام القرآن ٣٤٦/٢٢

(٤) ينظر : معالم التنزيل ٤٦٧/٤ ، زاد المسير ٢٨٢/٨

(٥) ينظر : زاد المسير ٢٨٢/٨ ، المحرر الوجيز ٤٩٤/٥

ويشهد لهذا ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ ». (١)

ويؤيده أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن غنيا ذا مال وفير .

وصحح ابن القيم أنه يعم النوعين : نوعي الغنى فأغنى قلبه ، وأغناه بالمال (٢) وهو الصواب إن شاء الله لعدم ذكر متعلق الفعل (أغنى) فلا يكون تفسيره بأحد النوعين بأولى من الآخر .

وغناه بالمال لم يتجاوز حال الكفاف التي كان عليها صلى الله عليه وسلم كما جاء في دعائه صلى الله عليه وسلم « اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوَّةً » (٣)

أي : اكفهم من القوت بما لا يرهقهم إلى ذل المسألة ، ولا يكون فيه فضول تبعث على الترفه والتبسط في الدنيا (٤)

(١) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق (٦٠٨١) ، و صحيح مسلم ، كتاب الزكاة (٢٤٦٧)

(٢) ينظر : مدارج السالكين ٤٤٩/٢

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق (٦٠٩٥) ، و صحيح مسلم ، كتاب الزكاة (٢٤٧٤)

(٤) ينظر : فتح الباري ٢٧٥/١١

المبحث الرابع

الوصايا الإلهية للنبي صلى الله عليه وسلم في السورة وتتمثل في

المطالب التالية :

المطلب الأول / عدم قهر اليتيم

المطلب الثاني / عدم نهر السائل

المطلب الثالث / التحدث بنعمة الله تعالى

ولما عدد عليه هذه النعم الثلاث ، أمره أن يقابلها بما يليق بها من
الشكر ، فوصاه بثلاث فقال : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ① وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا
تَنْهَرْ ② وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ③ ﴾

المطلب الأول / عدم قهر اليتيم

هذه الوصية الأولى في قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾

القهر : الغلبة والتذليل معا ، و(لا تقهر) أي : لا تذلل (١) .

(١) ينظر : المفردات (قهر) ٤١٥ ،

قال الفراء (١) والزجاج (٢) : لا تقهره على ماله فتذهب بحقه لضعفه ، قال الواحدي : وكذا كانت العرب تفعل في أمر اليتامى ، تأخذ أموالهم وتظلمهم حقوقهم (٣)

وهذه في مقابل نعمته عليه بقوله ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۖ أَي : فكما آواك ربك في يمتك ، فلا تتسلط على اليتيم فتقهره في ماله وتذله ، بل أحسن إليه وأكرمه وارفق به .

وقد جاءت النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة بالاعتناء باليتيم خاصة ، وكلها تدور حول دفع المضار عنه في نفسه وماله ، وجلب المصالح له في نفسه وماله ، حتى زادت على عشرين موضعا من كتاب الله ، فمن ذلك قوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ

أَحْسَنُ ﴾ الأنعام: ١٥٢ وقوله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ النساء: ١٠ وقوله ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ

وَالْيَتَامَىٰ ﴾ النساء: ٣٦

(١) ينظر : معاني القرآن ٣ / ٢٧٥

(٢) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ٥ / ٢٥٩

(٣) ينظر : الوسيط ٤ / ٥١١

ومن الأحاديث النبوية الشريفة ما جاء عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ، وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئا) (١)

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي بعثني بالحق لا يعذب الله يوم القيامة من رحم اليتيم ، ولأن له في الكلام ، ورحم يتمه وضعفه ، ولم يتناول على جاره بفضل ما آتاه الله (٢)

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اللهم إني أحرِّج حق الضعيفين اليتيم والمرأة) (٣) . ومعنى ((أحرِّج)) : ألحق الحرِّج وهو الإثم بمن ضيِّع حقهما ، وأحدر من ذلك تحذيرا بليغا ، وأزجر عنه زجرا أكيدا (٤) .

(١) صحيح البخاري ، كتاب الطلاق (٤٩٩٨)

(٢) معجم الطبراني الأوسط (٨٨٢٨) وقال المنذري في الترغيب والترهيب ٣ / ٢٣٧ : ورواته ثقات إلا عبد الله بن عامر وقال أبو حاتم ليس بالمتروك . وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب ٢ / ٨٢

(٣) سنن ابن ماجه ، كتاب الأدب (٣٦٧٨) ، وقال البوصيري في مصباح الزجاجاة ٤ / ١٠٣ : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات ، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى ، كتاب عشرة النساء

(٤٩٤٩) وقال النووي في رياض الصالحين ١١٨ : حديث حسن رواه النسائي بإسناد جيد .

(٤) ينظر : رياض الصالحين ١١٨

المطلب الثاني / عدم نهر السائل

هذه الوصية الثانية في قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا نَنْهَرْ ﴾

قيل بأن السائل هو سائل البر والمال ، وعليه الأكثر (١)

﴿ فَلَا نَنْهَرْ ﴾ النهر والانتهار : الزجر بمغالطة ، يقال نهره

وانتهره (٢) إذا استقبله بكلام يزجره (٣) وعلى هذا المعنى تكون هذه

الآية في مقابل نعمته عليه بقوله ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾ أي فكما كنت

فقيراً محتاجاً فأغناك بفضله ، فلا تزجر السائل للبر والصدقة ، فإما أن

تعطيه ، وإما أن ترده رداً جميلاً لنا ، وقد قال تعالى ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ

وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَىٰ ۗ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾ البقرة: ٢٦٣

فكيف بالأذى بلا صدقة .

وما أجمل قول المتنبي (٤) :

لا خيل عندك تهديها ولا مال * فليسعد النطق إن لم يسعد الحال

(١) ينظر : الوسيط ٥١٢/٤ ، زاد المسير ٢٨٢/٨

(٢) ينظر : المفردات (نهر) ٥٠٩

(٣) ينظر : الوسيط ٥١٢/٤ ، زاد المسير ٢٨٢/٨

(٤) ينظر : نهاية الأرب في فنون الأدب ١٣٠/٧

وقيل : بأنه السائل عن العلم والدين (١)

وعلى هذا تكون الآية في مقابل نعمته عليه بقوله : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴾

أي : كما كنت غافلا عن النبوة ومعالم الدين والشرايع فهداك إليها ، فلا تنهر المسترشد السائل عن الدين الطالب للعلم ، وأجبه برفق ولين. والتحقيق أن الآية تتناول النوعين كما قال ابن القيم (٢) وهو الصواب إن شاء الله لإطلاق لفظ السائل في الآية وعدم تقييده ، ولما ذكرناه من قاعدة (أن اللفظ إذا احتمل معاني عدة ، ولم يمتنع إرادة الجميع ، حمل عليها)

وفي الأثر عن ابن بُجَيْد الأنصاري عن جدته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (رُدُّوا السَّائِلَ وَلَوْ بَظْلَفٍ مُّحْرَقٌ) (٣)

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن أتاك سائل على فرس ، باسط كفيه ، فقد وجب الحق ولو بشق تمره) (٤) .

(١) قاله سفيان وابن إسحاق ويحيى بن آدم ينظر : تفسير أبي حاتم ٣٤٤٤/١٠ ، زاد المسير ٢٨٢/٨ ، تفسير القرآن العظيم ٥٣٨/٤

(٢) ينظر : التبيان في أقسام القرآن ٨٥

(٣) مسند أحمد (٢٧٤٩٠) وحسن إسناده شعيب الأرنؤوط قال في النهاية ١٤٤/٣ : الظَّفُّ للْبَقَرِ وَالْغَنَمِ كَالْحَافِرِ لِلْفَرَسِ وَالْبِغْلُ وَالْخُفُّ لِلْبَعِيرِ

(٤) مسند الفردوس ٢٤١/١ (٩٣١)

المطلب الثالث / التحدث بنعمة الله تعالى

هذه الوصية الثالثة في قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾

اختلف في المقصود بالنعمة في الآية فقيل : النبوة والقرآن (١) ، قال الكلبى : وكان القرآن أعظم ما أنعم الله عليه به فأمره أن يقرنه (٢)

وعلى هذا تكون الآية في مقابل نعمته عليه في قوله : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا

فَهَدَىٰ ﴾ أي كما أنعمت عليك بالهداية إلى النبوة ومعالم الدين ، فحدث الناس بالقرآن ، وبلغهم الرسالة وادعهم إلى سبيل ربك ، وهي بمعنى قوله تعالى ﴿ يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ^ط ﴾ المائدة :

٦٧

وقيل بأنها عامة في جميع النعم المذكورة في السورة (٣) وعلى هذا تكون الآية في مقابل النعم الثلاث المذكورة في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ يَجِدَكَ

يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾

(١) قاله مجاهد ينظر : جامع البيان ٤٩١/٢٤ ، تفسير ابن ابي حاتم ٣٤٤٤/١٠ ، واختاره الفراء في معاني القرآن ٣ / ٢٧٥ ، وكذا الزجاج في

معاني القرآن وإعرابه ٥ / ٢٥٩

(٢) ينظر : الوسيط ٤ / ٥١٣

(٣) وهو قول مقاتل ينظر : الوسيط ٤/٥١٣ ، زاد المسير ٨/٢٨٣

أي : أذكر ما أنعم الله به عليك في هذه السورة من إيوائك حال اليتيم ،
وهدايتك بعد الضلال ، وإغنائك بعد العيلة ، والتحدث بنعمة الله شكر

والأولى حمل ذلك على عموم النعم ، ما ذكر في السورة ومالم يذكر ،
الموجودة منها والموعودة ، من نعمة الدين والدنيا ، لإطلاق لفظ
النعمة في الآية ، وعدم تقييدها ، وأعظمها نعمة النبوة والقرآن .

وجاء في الأثر عن النعمان بن بشير رضي الله عنه : عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال : (من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ، ومن
لم يشكر الناس لم يشكر الله ، و التحدث بنعمة الله شكر ، و تركه كفر
، والجماعة رحمة) (١) .

و أخرج ابن جرير عن أبي نضرة قال : كان المسلمون يرون أن
من شكّر النعم أن يحدثَ بها (٢) .

وجاءت آثار عن السلف في تأول هذه الآية على ظاهرها عموما
حتى في التحدث عن الأعمال الصالحة التي يفعلها العبد بينه وبين ربه
، فمن ذلك ما أثر عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال : إذا أصبت
خيرا ، أو عملت خيرا ، فحدث به الثقة من إخوانك (٣) .

وكان عمرو بن ميمون إذا لقي الرَّجُلَ من إخوانه ، قال : رزق اللّهُ
البارحة من الصلّاة كذا ، ورزق اللّهُ البارحة من الخير كذا وكذا (٤) .

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦ / ٥١٦ ، وضعف إسناده السيوطي في

الدر المنثور ٨ / ٥٠٠ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨ / ٣٣٣ : رواه عبد

الله ، وأبو عبد الرحمن راويه عن الشعبي لم أعرفه وبقيّة رجاله ثقات

(٢) ينظر : جامع البيان ٢٤ / ٤٩١

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٢ / ٣٥١

(٤) ينظر : مصنف ابن أبي شيبة ١٣ / ٤٢٥

وكذلك كان عبدالله بن غالب إذا أصبح يقول : لقد رزقتني الله البارحة خيراً ، قرأت كذا وصليت كذا ، وذكرت الله كذا وفعلت كذا ، فيقال له : يا أبا فراس إن مثلك لا يقول مثل هذا فيقول : الله سبحانه يقول : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ وتقولون أنتم : لا تحدث بنعمة ربك (١) .

وما أثر عن هؤلاء الصالحين ليس على إطلاقه ولا يحسن من كل أحد ، بل مقيد بما ذكره بعض العلماء كابن العربي حيث قال : إن التحدث بالعمل يكون بإخلاص من النية ، عند أهل الثقة ، فإنه ربما خرج إلى الرياء وإساءة الظن بصاحبه (٢) .

وكذلك ما ذكره الفخر الرازي حيث قال : إلا أن هذا إنما يحسن إذا لم يتضمن رياء ، وظن أن غيره يقتدي به (٣) .

ومن الحديث بالنعمة إظهارها بالملبس والمركب ، فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده) (٤) .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (كُلُوا وَاشْرَبُوا وَابْسُوا وَتَصَدَّقُوا فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيلَةٍ) (٥)

(١) ينظر : حلية الأولياء ٢ / ٢٥٧

(٢) ينظر : أحكام القرآن ٤ / ٤١١

(٣) ينظر : مفاتيح الغيب ٣١ / ٢٠٠

(٤) أخرجه الترمذي ، كتاب الأدب (٢٨١٩) وقال : هذا حديث حسن ، وقال

الشيخ الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي ٦ / ٣١٩ : حسن صحيح

(٥) أخرجه البخاري تعليقا في كتاب اللباس ٥ / ٢١٨٠

وإن قال قائل : هل من فرق بين التحدث بالنعمة وبين التفاخر بها ؟

قيل : نعم ، فالمتحدث بالنعمة مخبر عن صفات وليها ومحض جوده وإحسانه ، فهو مثن عليه بإظهارها والتحدث بها ، شاكر له ، ناشرا لجميع ما أولاه ، مقصوده بذلك إظهار صفات الله ومدحه والثناء ، وبعث النفس على الطلب منه دون غيره ، وعلى محبته ورجائه ، فيكون راغبا إلى الله بإظهار نعمه ونشرها والتحدث بها .

وأما الفخر بالنعمة فهو أن يستطيل بها على الناس ، ويريهم أنه أعز منهم وأكبر ، فيركب أعناقهم ، ويستعبد قلوبهم ، ويستميلها إليه بالتعظيم والخدمة (١) .

(١) ينظر : الروح ٢٤٦ ، ٢٤٧

المبحث الخامس

سورة الضحى والتكبير وما يتعلق به ، وفيه المطالب التالية

المطلب الأول : مناسبة التكبير لسورة الضحى

المطلب الثاني : التكبير عند القراء والفقهاء

المطلب الثالث : صيغة التكبير ولفظه

المطلب الرابع : ابتداء التكبير وانتهاءه

المطلب الأول / مناسبة التكبير لسورة الضحى

ذكر القراء في مناسبة التكبير لسورة الضحى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما انقطع عنه الوحي أياما ، وقال المشركون : ودَّعه ربه وقلاده ونزلت سورة الضحى ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : الله أكبر (١)

وهذا الأثر يقول عنه ابن كثير : لم يرو بإسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف (٢) .

(١) ينظر الوسيط ٤ / ٥١٤ ، النشر في القراءات العشر ٢ / ٤٠٦

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤ / ٥٣٧

وقيل في سبب التكبير : إنه كبر فرحا وسرورا بالنعمة التي عددها الله تعالى عليه ، وقيل : شكرا لله لما كذب المشركين ،
وقيل : كبر لما رآه من صورة جبريل عليه السلام التي خلقه الله عليها عند نزوله بهذه السورة .
ذكر ذلك ابن الجزري ، وقال عن السبب الأخير : هذا قول قوي جيد ، إذ التكبير إنما يكون غالبا لأمر عظيم أو مهول . (١)

المطلب الثاني / التكبير عند القراءة والفقهاء

إن التكبير مستند على أثر مرفوع أخرجه الحاكم (٢) وأبو عمرو الداني (٣) بسندهما عن أحمد بن محمد بن القاسم بن أبي بزة قال : سمعت عكرمة بن سليمان يقول : قرأت على إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين فلما بلغت (و الضحى) قال لي : كبر عند خاتمة كل سورة حتى تختم ، و أخبره عبد الله بن كثير أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك ، و أخبره مجاهد أن ابن عباس أمره بذلك ، و أخبره ابن عباس أن أبي بن كعب أمره بذلك ، و أخبره أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه و سلم أمره بذلك .

والبزي – وإن كان إماما في القراءات – لكنه ضعيف في الحديث ، ضعفه أبو حاتم الرازي وقال : لا أحدث عنه (٤) وكذلك أبو جعفر العقيلي حيث قال : هو منكر الحديث (٥) .

(١) ينظر : النشر ٢ / ٤٠٨

(٢) في المستدرک (٥٣٢٥) وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الذهبي : البزي قد تكلم فيه

(٣) في التيسير ١٤٢

(٤) ينظر : ميزان الاعتدال ١ / ٢٨٩

(٥) ينظر : ميزان الاعتدال ١ / ٢٨٩ ، تفسير القرآن العظيم ٤ / ٥٣٦

ولذا كان للعلماء نظر في قبول هذا الحديث المرفوع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكذلك هو مستند على روايات موقوفة على ابن عباس ومجاهد ، وكلاهما من علماء مكة وقرانها ، وعبد الله بن كثير - مقررئ مكة - المذكور في الأثر المرفوع هو أحد القراء السبعة ، وقد أثر عنه التكبير دونهم ، والبزي أحد رواة القراءة عنه ، ولذا اشتهر التكبير عند أهل مكة بين القراء والعلماء ، وصح عندهم وعند من روى عنهم صحة استفاضت واشتهرت حتى بلغت حد التواتر كما قال ابن الجزري (١) ، وقد انتصر - رحمه الله تعالى - لابن كثير في فعله للتكبير انتصارا قويا ، وتعجب ممن أنكره عليه بعد ثبوته عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه والتابعين كما قال (٢) .

واستعمال النبي صلى الله عليه وسلم لهذا التكبير كان قبل الهجرة بزمان ، ولذا أخذ به المكيون ونقل خلفهم عن سلفهم ، وأما غيرهم من القراء فلم يأخذوا به ، لأنه صلى الله عليه وسلم ترك ذلك بعد فأخذوا بالآخر من فعله (٣).

ونقل ابن مفلح عن الأمدى قوله (يهمل ويكبر ، وهو قول البزي ، وسائر القراء على خلافه) (٤)

(١) ينظر : النشر ٤١٠/٢

(٢) ينظر : النشر ٤٢٨/٢

(٣) ينظر : جامع البيان في القراءات السبع ٤ / ١٧٥٢

(٤) ينظر : الآداب الشرعية ٢ / ٢٠٩

ولكن ذكر ابن الجزري أن التكبير صح كذلك عن أبي عمرو من رواية السوسي ، وعن أبي جعفر من رواية العمري (١) والمثبت مقدم على النافي ، ولعل هاتين الروايتين لم تشتهر عنهما ، ولذا لم يذكرهما أبو عمرو الداني والآمدي . والله أعلم وأما الفقهاء ، فقد أثر عن الشافعي أنه سمع رجلا يكبر هذا التكبير في الصلاة فقال : أحسنت وأصبت السنة (٢) وذكر عنه قوله: (إن تركت التكبير فقد تركت سنة من سنن نبيك صلى الله عليه وسلم) (٣) وأما الإمام أحمد فقد نقل ابن مفلح عنه رواية باستحباب التكبير (٤) وأما الحنفية والمالكية فيقول ابن الجزري : لم أر لهم نصا (٥) ولو قال قائل : أيهما أولى فعل التكبير أم تركه ؟

فالجواب ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية : (إذا قرعوا بغير حرف ابن كثير كان تركهم لذلك هو الأفضل؛ بل المشروع المسنون ، فإن هؤلاء

(١) ينظر : النشر ٢/١٠٤

(٢) ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره ٤/٥٣٦ ، وقال معقبا عليه وهذا يقتضي صحة الحديث ، يعني حديث التكبير المروي عن ابن كثير القارئ ، وذكره ابن الجزري في النشر ٢/٤٢٥

(٣) ينظر : جامع البيان في القراءات السبع ٤ / ١٧٤٠

(٤) ينظر : الآداب الشرعية ٢/٢٠٩

(٥) ينظر : النشر ٢/٤٢٨

الأئمة من القراء لم يكونوا يكبرون لا في أوائل السور ولا في أواخرها
(١) (

ولا ينبغي الإنكار على من فعله ممن قرأ بقراءة ابن كثير أو قراءة غيره ، وقد قال ابن الجزري : (صار على هذا العمل عند أهل الأمصار في سائر الأقطار عند ختمهم في المحافل واجتماعهم في المجالس) (٢) وكذلك لا ينبغي الإنكار على من تركه .

فالأمر لا يعدو أن يكون سنة مستحبة عند من قال به من القراء ، وهو مأجور - إن شاء الله - ولم يقل أحد بوجوبه ، قال ابن تيمية : (ولم ينقل أحد من أئمة الدين أن التكبير واجب) (٣) ، وقال أبو الفتح فارس بن أحمد : (لا نقول إنه لا بد لمن ختم أن يفعله لكن من فعله فحسن ، ومن لم يفعله فلا حرج عليه ، وهو سنة مأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين) (٤) .

المطلب الثالث / صيغة التكبير ولفظه^(٥)

اختلف عن ابن كثير في صيغة التكبير ، ونقل عن راوييه البزي وقنبل عدة صيغ ، والاختلاف هو في الزيادة عن لفظ (الله أكبر)

فجمهور من روى عن البزي وجمهور من روى من المغاربة عن قنبل على الاقتصار على لفظ التكبير فقط (الله أكبر) .

(١) ينظر : فتاوى ابن تيمية ١٣ / ١٧٤

(٢) ينظر : النشر ٢ / ١٠٤

(٣) ينظر : فتاوى ابن تيمية ١٣ / ١٩٤

(٤) ينظر النشر ٢ / ١١٤

(٥) ينظر : النشر ٢ / ٢٩٤ — ٣١٤

وجاء عن بعض من روى عن البزي ، وجمهور من روى من المشاركة عن قنبل على زيادة التهليل قبله ، فيقول : (لا إله إلا الله والله وأكبر)

وجاء عن بعض من أخذ بالتهليل مع التكبير عن البزي زيادة الحمد فقالوا : (لا إله إلا الله والله أكبر والله الحمد)

قال الداني : (والوجهان - يعني : التهليل مع التكبير ، والتكبير وحده عن البزي وقنبل - صحيحان جدا مشهوران مستعملان) (١)

المطلب الرابع / ابتداء التكبير وانتهائه^(٢)

اختلف الرواة للتكبير في ابتدائه وانتهائه ، بناءً منهم على أن التكبير هل هو لأول السورة أو لآخرها ؟

فالجمهور على أن ابتداءه من آخر سورة (الضحى) أو من أول سورة (الشرح) والباقون على أن ابتداءه من أول سورة الضحى

وأما انتهائه ، فإن من ذهب إلى أن التكبير لأول السورة ، سواء كان ابتداء التكبير عنده من أول (الضحى) أو من أول (الشرح) جعل انتهائه أول سورة الناس ،

ومن ذهب إلى أن التكبير لآخر سورة (الضحى) جعل انتهائه آخر سورة الناس .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

(١) ينظر : جامع البيان ٤ / ١٧٥٢

(٢) ينظر : النشر ٢ / ٤١٧ - ٤٢٠

الخاتمة

بعد هذا التطواف المبارك في ثنايا السورة الكريمة أخلص بنتائج منها :

١- في تأخر الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فترة ، ثم رجوعه مرة ثانية دليل على أن القرآن من عند الله تعالى .

٢ - عطاء الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ينتهي إلى غاية ما يتمناه ويرتضيه

٣ - الله تعالى يقسم بما شاء من مخلوقاته ﴿ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٣] وأما العباد فلا يجوز لهم القسم إلا به جل وعلا

٤ - في قسم الله بمخلوقاته دلالة على عجب صنعه فيها ، وكثرة منافعها

٥ - دفاع الله تعالى عن أوليائه الصالحين وتولييه لهم قال تعالى: ﴿

إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ الحج : ٣٨ ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ الأعراف : ١٩٦

٦ - الدنيا لا تخلو من كدر ، ولو سلمت لأحد ، لكان أحب الناس إلى الله ومصطفاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أولى بذلك ، وصدق

الله العظيم ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا فِي كَبَدٍ ﴾ البلد : ٤

٧ - في المحن تكمن المنح ، وكم من عدو تسبب في نفع عدوه

- ٨ - العناية الربانية الخاصة بالذات المحمدية والنسمة المصطفوية ،
وبيان علو مقامها وشرف مكانتها
- ٩ - حقارة الدنيا وعدم صلاحيتها والاهتمام والتعلق بها لأولياته
وأحبابه
- ١٠ - نعيم الدنيا زائل ماحل ، ونعيم الآخرة باق دائم
- ١١ - في خطاب الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم مزيد عناية به
وعظيم تشريف له
- ١٢ - امتنان الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم بإيوانه حال
يتمه وهدايته إلى كتابه ونبوته ، وإغنائه بعد عيلته
- ١٣ - توجيه القرآن بإكرام اليتيم والإحسان إليه وعدم ظلمه وقهره
- ١٤ - الرفق بسائل العلم أو سائل البر والصدقة والتلطف معهما وعدم
نهرهما
- ١٥ - التحدث بنعمة الله في الدين أو الدنيا من شكر مسديها جل وعلا
- ١٦ - مشروعية التذكير بالنعم والنقم حملا للعبد على الصبر والشكر .
- ١٧ - مشروعية التكبير بعد قراءة سورة الضحى عند ابن كثير مقرئ
مكة المكرمة

فهرست المصادر والمراجع

١	القرآن الكريم .
٢	أحكام القرآن لأبي بكر ابن العربي ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت
٣	الأدب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح المقدسي ، تحقيق أيمن عارف الدمشقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ
٤	إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت
٥	أسباب نزول القرآن ، لأبي الحسن الواحدي ، تحقيق كمال بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٤ هـ .
٦	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين الشنقيطي ، وتتمته لتلميذه عطية محمد سالم ، تحقيق / صلاح الدين العلابي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ هـ
٧	الأمالي النحوية ، لابن الحاجب، تحقيق / هادي حمودي مكتبة عالم الكتب الطبعة الأولى ١٩٨٥
٨	البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وزملائه ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ .
٩	التبيان في أقسام القرآن لابن قيم الجوزية ، تحقيق فواز أحمد زمرلي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ
١٠	التحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور ، مؤسسة التاريخ ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ
١١	الترغيب والترهيب من الحديث الشريف لعبد العظيم بن عبد القوي المنذري ، دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الأولى ، ١٤١٧ ،

	تحقيق : إبراهيم شمس الدين
١٢	التفسير الحديث لمحمد عزت دروزة ، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة الطبعة: ١٣٨٣ هـ
١٣	تفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم ، تحقيق أسعد الطيب ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٧ هـ .
١٤	تفسير القرآن العظيم لابن كثير الدمشقي تحقيق : سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة : الثانية ١٤٢٠ هـ
١٥	تفسير المراغي لأحمد بن مصطفى المراغي ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م
١٦	التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي دار الفكر المعاصر - دمشق الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ
١٧	التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر القرطبي ، تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي و محمد عبد الكبير البكري ، مؤسسة القرطبه
١٨	تهذيب اللغة للأزهري الهروي ، المحقق: محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة: الأولى ، ٢٠٠١ م
١٩	التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني ، دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م
٢٠	جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، لابن جرير الطبري ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ .
٢١	جامع البيان في القراءات السبع لأبي عمرو الداني ، جامعة الشارقة -

	الإمارات ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧
٢٢	الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم ، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، دار الجيل بيروت ، دار الأفاق الجديدة - بيروت
٢٣	الجامع الصحيح سنن الترمذي لمحمد بن عيسى الترمذي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون
٢٤	الجامع الصحيح لمحمد بن إسماعيل البخاري الجعفي ، دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ - ١٩٨٧ - تحقيق : د. مصطفى ديب البغا جامعة دمشق
٢٥	الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله القرطبي ، تحقيق : د / عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ .
٢٦	حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني ، الناشر : دار الكتاب العربي- بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٥
٢٧	الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي ، دار إحياء التراث ، بيروت ، الطبعة : الأولى ١٤٢١ هـ .
٢٨	رصف المباني في شرح حروف المعاني لأحمد بن عبد النور المالقي ، تحقيق / د. أحمد محمد الخراط ، دار القلم ، دمشق
٢٩	الروح - لابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٣٩٥ - ١٩٧٥
٣٠	روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني ، لمحمود الألوسي البغدادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ
٣١	رياض الصالحين لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٨ هـ

٣٢	سنن ابن ماجه لمحمد بن يزيد القزويني دار الفكر - بيروت ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي
٣٣	سنن النسائي الكبرى لأحمد بن شعيب النسائي ، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ، ١٤١١ - ١٩٩١ ، تحقيق : د. عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن
٣٤	السيرة النبوية لابن هشام ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، دار الجيل ، ١٤١١ هـ ، مكان النشر بيروت .
٣٥	شعب الإيمان لأبي بكر البيهقي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٠ ، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول
٣٦	صحيح وضعيف سنن الترمذي ، لناصر الدين الألباني
٣٧	ضعيف الترغيب والترهيب لمحمد ناصر الدين الألباني مكتبة المعارف - الرياض
٣٨	فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لابن حجر العسقلاني الشافعي ، دار المعرفة - بيروت ، ١٣٧٩
٣٩	فتح القدير لمحمد بن علي الشوكاني ، تحقيق أحمد عبد السلام ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
٤٠	الفردوس بمأثور الخطاب ، لأبي شجاع الديلمي الهمداني، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م ، بيروت
٤١	قواعد التفسير جمعاً ودراسةً للدكتور خالد بن عثمان السبت ، دار ابن عفان ، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ
٤٢	الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، لأبي القاسم الزمخشري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ .

٤٣	الكشف والبيان لأبي إسحاق الثعلبي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الإمام أبي محمد بن عاشور
٤٤	لباب النقول في أسباب النزول ، لجلال الدين السيوطي ، تحقيق عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ
٤٥	لسان العرب لابن منظور المصري ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة : السادسة ، ١٤١٧ هـ
٤٦	المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لأبي الفتح الموصلي ، المكتبة العصرية - بيروت ١٩٩٥ ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد
٤٧	مجاز القرآن لأبي عبيدة ، تحقيق أحمد فريد المزدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧ هـ
٤٨	مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، لأبي بكر الهيثمي ، دار الفكر ، بيروت - ١٤١٢ هـ
٤٩	مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق عبد الرحمن بن محمد النجدي الحنبلي
٥٠	المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لابن عطية الأندلسي ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ
٥١	مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، لابن قيم الجوزية ، دار الكتاب العربي - بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٣ - ١٩٧٣ ، تحقيق : محمد حامد الفقي
٥٢	مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، للنسفي ، تحقيق زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ
٥٣	المستدرک علی الصحیحین لأبی عبد اللہ الحاکم النیسابوری دار الكتب

	العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ - ١٩٩٠ ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا
٥٤	مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة قرطبة - القاهرة
٥٥	مصباح الزجاجاة في زوائد ابن ماجه لأحمد بن أبي بكر البوصيري ، تحقيق محمد المنتقى الكشناوي ، دار العربية ، ١٤٠٣ ، بيروت
٥٦	مُصنّف ابن أبي شيبة لأبي بكر بن أبي شيبة العبسي ، تحقيق : محمد عوامة.
٥٧	معالم التنزيل ، للبعوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة العلمية ، ١٤١٤هـ .
٥٨	معاني القرآن ، ليحيى بن زياد الفراء ، دار السرور
٥٩	معاني القرآن وإعرابه ، لأبي إسحاق الزجاج ، تحقيق عبد الجليل عبده شليبي ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٦هـ
٦٠	المعجم الأوسط ، لأبي القاسم الطبراني ، دار الحرمين - القاهرة ، ١٤١٥ ، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني
٦١	المعجم الكبير ، لأبي القاسم الطبراني ، مكتبة العلوم والحكم - الموصل ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ - ١٩٨٣ ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي
٦٢	مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، لابن هشام الأنصاري ، تحقيق د/ عبد اللطيف محمد الخطيب ، الكويت ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ
٦٣	مفاتيح الغيب ، لفخر الدين الرازي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ

٦٤	المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني ، ضبطه وراجعه محمد خليل عتياني ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ
٦٥	المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ، للقسطلاني ، تحقيق : مأمون محي الدين الجنان ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ
٦٦	ميزان الاعتدال في نقد الرجال لشمس الدين الذهبي ، تحقيق الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٥ م ، بيروت
٦٧	النشر في القراءات العشر لابن الجزري الدمشقي ، دار الفكر
٦٨	النكت والعيون ، لأبي الحسن الماوردي البصري ، تحقيق عبد المقصود بن عبد الرحيم ، مؤسسة الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٢٨ هـ .
٦٩	نهاية الأرب في فنون الأدب - لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : مفيد قمحية وجماعة
٧٠	النهاية في غريب الحديث والأثر لأبي السعادات بن الجزري ، تحقيق / صلاح بن محمد بن عويضة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ١٤١٨ هـ .
٧١	الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، لأبي الحسن الواحدي ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وزملائه ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ